

القواعد والضوابط
من شرح العقيدة الواسطية

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله تعالى

جمع

مساعد بن عبدالله السلطان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المؤلف رحمه الله:

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه إلى قوله: ومن غير تكليف...

الشرح

٧٨- قوله:(تكليف): لم ترد في الكتاب والسنة، لكن ورد ما يدل على النهي عنها.

التكليف: هو أن تذكر كيفية الصفة، ولهذا تقول: كيف يكيف تكيفًا؛ أي ذكر كيفية الصفة.

التكليف يسأل عنه بـ(كيف)، فإذا قلت مثلاً: كيف جاء زيد؟ تقول: راكبًا، إذن: كيفت مجيئه، كيف لون السيارة؟ أبيض، فذكرت اللون.

أهل السنة والجماعة لا يكيفون صفات الله؛ مستنديين في ذلك إلى الدليل السمعي، والدليل العقلي:

- أما الدليل السمعي: فمثل قوله تعالى:(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٣]، والشاهد في قوله (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، فإذا جاء رجل وقال: إن الله استوى على العرش على هذه الكيفية، ووصف كيفية معينة، نقول: هذا قد

قال على الله ما لا يعلم! هل أخبرك الله بأنه استوى على هذه الكيفية؟! لا، أخبرنا الله بأنه استوى، ولم يخبرنا كيف استوى، فنقول: هذا تكييف وقول على الله بغير علم.

ولهذا قال بعض السلف: إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء؛ فكيف ينزل؟ فقل: إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل. وهذه قاعدة مفيدة.

قال المؤلف رحمه الله:

ولا يكيّفون، ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفاء له، ولا ند له..

الشرح

١٠٤- قوله: (سبحان): اسم مصدر سبّح والمصدر تسبيح، فـ (سبحان) بمعنى تسبيح، لكنها بغير اللفظ، وكل ما دل على معنى المصدر وليس بلفظه فهو اسم مصدر، كـ: سبحان من سبّح، وكلام من كلم، وسلام من سلم، وإعرابها مفعول مطلق منصوب على المفعولية المطلقة، وعاملها محذوف دائماً.

ومعنى (سبح)، قال العلماء: معناها: نزه، أصلها من السبّح وهو البعد، كأنك تبعد صفات النقص عن الله عز وجل، فهو سبحانه وتعالى منزّه عن كل نقص.

دليل ذلك قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [مريم: ٦٥] (هَلْ) استفهام، لكنه بمعنى النفي ويأتي النفي بصيغة الاستفهام لفائدة عظيمة، وهي: التحدي، لأن هناك فرقاً بين أن أقول: لا سمي له، و: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)؛ لأن (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) متضمن للنفي وللتحدي أيضاً، فهو مُشرب معنى التحدي، وهذه قاعدة مهمة: كلما كان الاستفهام بمعنى النفي، فهو مُشرب معنى التحدي، كأني أقول: إن كنت صادقاً فأنتني بسمي له، وعلى هذا ف (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا): أبلغ من: "سمي له"، والسمي: هو المسامي، أي: المماثل.

قال المؤلف رحمه الله:

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات.

الشرح

١١٤- بين المؤلف رحمه الله في هذه الجملة أن الله تعالى جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات؛ وذلك لأن تمام الكمال لا يكون إلا بثبوت صفات الكمال، وانتفاء ما يضادها من صفات النقص، فأفادنا رحمه الله أن الصفات قسمان:

فصفات الله عز وجل قسمان: ثبوتية، وسلبية، أو إن شئت فقل: مثبتة

ومنفية، والمعنى واحد، فالمثبتة: كل ما أثبتته الله لنفسه، وكلها صفات كمال، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، ومن كمالها: أنه لا يمكن أن يكون ما أثبتته دالاً على التمثيل؛ لأن المماثلة للمخلوق نقص.

وإذا فهمنا هذه القاعدة، عرفنا ضلال أهل التحريف، الذين زعموا أن الصفات المثبتة تستلزم التمثيل، ثم أخذوا ينفونها فراراً من التمثيل.

ومثاله: قالوا: لو أثبتنا لله وجهًا، لزم أن يكون مماثلاً لأوجه المخلوقين، وحينئذ يجب تأويل معناه إلى معنى آخر لا إلى الوجه الحقيقي.

فنقول لهم: كل ما أثبت الله لنفسه من الصفات، فهو صفة كمال ولا يمكن أبدًا أن يكون فيما أثبتته الله لنفسه من الصفات نقص.

آيات صفة المجيء والإتيان

قوله: **(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ)** [البقرة: ٢١٠].

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - لإثبات صفة المجيء والإتيان آيات أربع:

الآية الأولى: قوله: **(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ)** [البقرة: ٢١٠]، قوله: **(هَلْ يَنْظُرُونَ)** (هَلْ): استفهام بمعنى النفي، يعني: ما ينظرون، وكلما وجدت (إلا) بعد الاستفهام،

فالاستفهام يكون للنفي، هذه قاعدة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((هل أنت إلا أصبع دمية))، أي: ما أنت.

إثبات العينين لله تعالى

وقوله: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) [طه: ٣٩].

الشرح

٢٦٨: قوله: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) [طه: ٣٩] الخطاب لموسى عليه الصلاة والسلام، فقوله: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) (اختلف المفسرون في معناها، فمنهم من قال: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) يعني: أني أحببتك.

ومنهم من قال: ألقيت عليك محبة من الناس، والإلقاء من الله، أي أن من رآك أحبك، وشاهد هذا: أن امرأة فرعون لما رآته أحبته وقالت: (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [القصص: ٩].

ولو قال قائل: أيمنكم أن تحملوا الآية على المعنيين؟ قلنا: نعم بناء على القاعدة، وهو: أن الآية إذا كانت تحتل معنيين لا منافاة بينهما فإنها تحمل عليهما جميعاً، فموسى - عليه الصلاة والسلام - محبوب من الله عز وجل، ومحبوب من الناس، إذا رآه الناس أحبوه، والواقع أن المعنيين متلازمان؛ لأن الله تعالى إذا أحب عبداً ألقى في قلوب العباد محبته.

ويروى عن ابن عباس -رضي الله عنه - أنه قال: أحبه الله وحبّبه إلى خلقه.

إثبات العزة لله تعالى

وقوله: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون: ٨].

الشرح

٢٩٣ قوله: (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)، يعني: أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له عزة، وللمؤمنين أيضا عزة وغلبة، ولكن يجب أن نعلم أن العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين ليست كعزة الله، فإن عزة الرسول عليه الصلاة والمؤمنين قد يشوبها ذلة؛ لقوله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) [آل عمران: ١٢٣]، وقد يُغلبون أحيانا لحكمة يريد بها الله عز وجل، ففي أحد لم يحصل لهم تمام العزة؛ لأنهم غلبوا في النهاية لحكم عظيمة، وكذلك في حُنين ولوا مدبرين، ولم يبق مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اثني عشر ألفا إلا نحو مئة رجل، هذا أيضا فقد للعزة، لكنه مؤقت، أما عزة الله عز وجل فلا يمكن أبداً أن تفقد.

وبهذا عرفنا أن العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين ليست كالعزة التي أثبتها لنفسه.

وهذا أيضا يمكن أن يؤخذ من القاعدة العامة، وهي أنه: لا يلزم من اتفاق الاسمين أن يتماثل المسميان، ولا من اتفاق الصفتين أن يتماثل الموصوفان.

إثبات أن القرآن منزل من الله تعالى

وقوله تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [النحل: ١٠١-١٠٣].

الشرح

٣٧٩ والشاهد هو قوله: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ)، وقوله: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ)، وقوله: (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)، وكل هذه تدل على أن القرآن كلام الله تعالى منزل من عنده.

والمؤلف ترك الآية التي بعدها؛ لأنه ليس فيها شاهد، ولكنها مفيدة؛ فنذكرها: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [النحل: ١٠٤-١٠٥].

ومعنى هذه الآية: أن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله، ولا ينتفعون بآياتها والعياذ بالله فالهداية مسدودة عليهم.

وهذه الحقيقة فيها فائدة كبيرة، وهي: أن من لم يؤمن بآيات الله لا يهديه الله، ومفهوم المخالفة فيها: أن من آمن بآيات الله هداه الله.

مثال ذلك: أننا نجد من لم يؤمن بالآيات؛ لم يهتد لبيان وجهها؛ مثل قول بعضهم: كيف ينزل الله إلى السماء الدنيا وهو في العلو؟!

فنقول: آمن تهتد! فإذا آمنت بأنه ينزل حقيقة علمت أن هذا ليس بمستحيل؛ لأنه في جانب الله عز وجل، ولا يماثله شيء.

ونجد من يقول في قوله تعالى: (جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ) [الكهف: ٧٧]: كيف يريد الجدار؟

فنقول: آمن بأن الجدار يريد يتبين لك أن هذا ليس بغريب، وهذه قاعدة ينبغي أن تكون أساسية عندك، وهي: آمن تهتد!

والذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله، ويبقى القرآن عليهم عمى-والعياذ بالله - ولا يستطيعون الاهتداء به، نسأل الله لنا ولكم الهداية.

فصل: في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول؛ وجب الإيمان بها كذلك.

الشرح

٣٩٦- هذه قاعدة مهمة ساقها المؤلف رحمه الله: (وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول؛ وجب الإيمان بها كذلك).

وقوله: (وجب الإيمان بها)؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) [النساء: ١٣٦]، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) [القصص: ٦٥ - ٦٦]... والنصوص في هذا كثيرة معلومة.

واعلم أن موقف أهل الأهواء والبدع تجاه الأحاديث المخالفة لأهوائهم يدور على أمرين: إما التكذيب، وإما التحريف.

فإن كان يمكنهم تكذيبه كذبوه؛ كقولهم في القاعدة الباطلة: أخبار الآحاد لا تقبل في العقيدة! وقد رد ابن القيم رحمه الله هذه القاعدة وأبطلها بأدلة كثيرة، في آخر (مختصر الصواعق).

وإن كان لا يمكنهم تكذيبه حرفوه، كما حرفوا نصوص القرآن.

أما أهل السنة؛ فقبلوا كل ما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمور العلمية والأمور العملية؛ لقيام الدليل على وجوب قبول ذلك.

فصل

إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد... إلى قوله: فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق...

الشرح

٤٩٨- قوله: (يلجمهم العرق) يلجمهم: أي يصل منهم إلى موضع اللجام من الفرس، وهو الفم، ولكن هذه غاية ما يصل إليه العرق، وإلا فبعضهم يصل العرق إلى كعبيه، وإلى ركبتيه، وإلى حقويه، فهم يختلفون في هذا العرق، ويعرقون من شدة الحر؛ لأن المقام مقام زحام. وشدة ودنو شمس؛ فيعرق الإنسان مما يحصل في ذلك اليوم؛ لكنهم على حسب أعمالهم.

فإن قلت: كيف يكون ذلك وهم في مكان واحد؟

فالجواب: أننا أصلنا قاعدة يجب الرجوع إليها، وهي: أن الأمور الغيبية يجب علينا أن نؤمن بها ونصدق دون أن نقول: كيف؟! ولم؟! لأنها شيء وراء عقولنا، ولا يمكن أن ندركها أو نحيط بها.

أرأيت لو أن رجلين دفنا في قبر واحد؛ أحدهما مؤمن، والثاني كافر، فإنه ينال المؤمن من النعيم ما يستحق، وينال الكافر من العذاب ما يستحق، وهما في قبر واحد، وهكذا نقول في العرق يوم القيامة.

فإن قلت: هل تقول: إن الله سبحانه وتعالى يجمع من يلجمهم العرق في مكان، ومن يصل إلى كعبيه في مكان، وإلى ركبتيه في مكان، وإلى حقويه في مكان؟

فالجواب: لا نجزم بهذا، والله أعلم، بل نقول: من الجائز أن يكون الذي يصل العرق إلى كعبه إلى جانب الذي يلجمه العرق، والله على كل شيء قدير، وهذا نظير النور الذي يكون للمؤمنين؛ يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، والكفار في ظلمة؛ فيوم القيامة يجب علينا أن نؤمن به وبما يكون فيه، أما

كيف؟ ولم؟ فهذا ليس إلينا .
